# أبـــي: إرنستـــو جيفـــارا

**علي الجندي (مدير فرقة الإسكندرية للفنون الشعبية):**

نحن اليوم في رحاب رفاق كل من تطلع إلى الكرامة والحرية وامتلاك الســيادة الوطنيــة، في رحاب كل الأبطال ليس في كوبا وحدها لكن في بقاع العالم أجمع، الذين آثروا أن يقدموا أنفســهم – رخيصًا لديهم وغاليًا لدينا – من أجل التحرر والكرامة والشموخ.

لقد نظمت فرقتي هذا اللقاء، فرقة الإسكندرية للفنون الشعبية، وهي لا تتجاوز دورها حين تقدم مثل هذا اللقاء ولكنها تؤكد على كونه أحد فعالياتها في الدفاع عن الثقافة والمبــادئ الوطنيــة والقومية ومبادئ التحرر والكرامة الدولية في كل بقاع العالم. فقد تبنت الفرقة بكل ترحاب وســعة أفق ورحابة فكر هذه المبادرة مع جمعية أصدقاء كوبا بالإسكندرية ومنتدى الحوار ومركــز الفنــون بمكتبة الإسكندرية، ولقد أطلقت هذه المبادرة بعد عودة الفرقة من كوبا؛ حيث عاصــرنا التجربــة الكوبية مما جعلنا نؤكد على أن تصويت مصر منذ أشهر قليلة في جانب كوبا الفتية هو قناعــة منَّــا جميعًا قيادةً وشعبًا بحق كوبا في الحياة.

أتوجه بالشكر أولاً للدكتورة ألايدا جيفارا التي لبت دعوة الحضور ســريعًا، كمــا أوجــه الشكر إلى كل من الصديق السفير آنخيل ديلماو فرناندیز سفير كوبا في القاهرة، وكــذلك الســفير عبد الفتاح عز الدين سفير مصر في كوبا الذي نظم معي لهذه المبادرة ونحن معًا في العاصمة الكوبيــة هافانا. كما أخص بالشكر أيضًا منظمة التضامن في الإسكندرية وعلى رأسها الأستاذ الدكتور هشام صادق المفكر الوطني المعروف، وأشكر الصديق المايسترو شريف محيي الدين مدير مركــز الفنــون بالمكتبة والأستاذ الدكتور محسن يوسف مدير إدارة منتدى الحوار والآنسة شيماء الشــريف رئــيس وحدة منتدى الحوار التي كانت خير عون لإقامة هذا اللقاء، كذلك أشكر سعادة الســفيرة هــاجر الإسلامبولي التي لم تتوان لحظة في وضع كل إمكانيات المكان هي والسيدة حنان الركاد مــن أجــل إنجاح هذا اللقاء. وأخيرًا أشكر وحدة المونتاج بقسم الاستوديو في المكتبة برئاســة الســيدة دينــا

أبو العلا، والفنان شريف الجندي اللذين قاما بعمل المونتاج للفيلم التسجيلي الذي سيذاع في نهاية اللقاء ومدته اثنتا عشرة دقيقة تقريبًا عن حياة المناضل العظيم الذي نحن بصدد سيرته اليوم.

نحن اليوم على موعد سيُحفر في ذاكرتنا الوطنية، نحن في رحاب الدكتورة ألايدا إرنستو جيفارا ابنة القائد العظيم إرنستو جيفارا.

**ألايدا جيفارا:**

أشكركم على حضوركم اليوم، كما أشكركم على الدعوة التي وجهت إليَّ. سوف أتحدث اليوم عن إرنستو جيفارا وهو حديث يطول لأننا نتكلم عن رجل متكامل للغاية، له إمكانات عديدة. وتواجهني مشكلة صعبة حيث إنني لا أتحدث سوى الإسبانية، وكنت أود أن أتواصل معكم بسهولة أكثر دون حاجز اللغة.

أحاول دائمًا أن أتذكر ما قرأته عن جيفارا أو ما كتبه هو، فلا توجد سيرة ذاتية حتى الآن باستطاعتها أن توضح كل حياة جيفارا أو تحللها بدقة، كما أن السير الذاتية الموجودة الآن عنه بها الكثير من الأخطاء، وهناك أفكار ومناقشات كثيرة أجراها جيفارا تم تحريفها عبر التاريخ عن طريق الخطأ.كان جيفارا يكتب يوميات ذات نظرة فلسفية عن كل ما يدور في حياته، وحتى الآن لم يكتمل هذا الكتاب الذي يحوي كل ذكرياته ويومياته، والذي ضم في ذلك الوقت كل ما يمكن أن يتعلمه إنسان.

هناك تغيرات كثيرة قد حدثت خلال السنوات السابقة ويجب علينا أن نتحلى بسعة الذهن لكي نستوعبها ونتقبلها، ومنها ما حدث في المجتمع الأوروبي من تغير وهو يشكل ظاهرة كبيرة من قِبَل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة شعوب ودول مثل أفغانستان وبلدنا وغيرها من البلاد، وهذا ما كان جيفارا سيقوله في مثل هذه الأحداث؛ فلقد كان قادرًا على تحليلنا من داخل أنفسنا وكان يتفهم كيف تحدث هذه الأمور. وسوف أقرأ عليكم بعض الجمل التي كتبها جيفارا أثناء زيارته لمصر لكي نتعاون جميعًا على فهم فكر جيفارا وتحليله للموقف في ذلك الوقت:

"زيارتي ذات الثلاثة أشهر إلى بعض البلاد كانت بهدف الوصول إلى التحرر والتقدم، لكن ذلك يعني أنه لابد من أن تكون هناك علوم سياسية، اجتماعية، اقتصادية نتبعها ويجب أن نتفاهم فيها مع زملائنا." كما قال فيما بعد إن التقسيم والمواجهة بين آسيا وإفريقيا، وأمريكا سوف يحدث في أراضيهم في أي مكان داخل إفريقيا أو آسيا وسوف تتعرض هاتان القارتان للاستعمار، كما سنمر

بمحاولات كثيرة للاستقلال بأراضينا، وسوف تقوم الشركات العملاقة باستثمار واستغلال هذه الدول بطريقة فعّالة وتستغل مواردنا الطبيعية داخل أراضينا. وتنبأ جيفارا بكل هذه التغيرات التي تم بعضها بالفعل في أمريكا اللاتينية، فكما تعلمون حصلت أمريكا اللاتينية على استقلالها عن إسبانيا والبرتغال، وفور هذا الاستقلال بدأت الكثير من المشاكل الاقتصادية. وأذكر هنا مثالاً على تعامل الدول الغنية مع الدول الفقيرة؛ فالمملكة المتحدة كانت تستورد القطن من مصر لكنها قطعت هذه التجارة عندما أرادت الضغط على الشعب المصري.

كما رأى التشي جيفارا أنه على الرغم من السياسات المختلفة التي تُتَّبع في البلاد، فلو اجتمعت الشعوب حول لغة واحدة – مثل أمريكا اللاتينية – ولو ملكت ثقافة واحدة، فسوف تتمكن من التعاون فيما بينها لمنفعة الصالح العام، مثلما كانت هناك مشكلات خطيرة في كلٍّ من دولتي تشيلي وبوليفيا ولكن بهذا المنطق استطاعتا التغلب عليها. كما قال في أحد مؤتمراته إن سلطة وقوة الشعوب تتعاظم بمقدرتها على صد القوات الغازية المستعمرة، مؤكدًا على ضرورة التعاون بين الدول الإفريقية والآسيوية. ورغم عدم وجود قرار متفق عليه من جميع الأطراف في هذا المؤتمر، لكن جيفارا كان متقدمًا في فكره إذ ناقش ضرورة وجود مكان يجمع هذه القوى لتحديد ما لديها من مشكلات وإيجاد حلول لها؛ فلا يجب مثلاً أن تطبق المملكة المتحدة سياساتها في بلادنا بل يجب أن تكون لدينا القدرة على اتباع سياسات تخدم مصالح بلدنا.

وجاء الرئيس جمال عبد الناصر بعد ذلك ليقود مصر التي كانت متحمسة للحصول على الاستقلال من الاستعمار، فكان قرار الاستقلال قرارًا ثقافيًّا ودينيًّا يحمل بين طياته إجماع المجتمع ككل. وحرر نضال الشعب المصري وعزيمته قناة السويس، وهي مفخرة كبيرة عندما يمتلك الشعب كل ما يريده من مقدرات تمكنه من اتخاذ قرار واعٍ، فهذه هي الإرادة القوية التي أظهر الشعب المصري أنها واقع يمكن تحقيقه. كذلك فإن الاتحاد بين دول تجمع بينها الثقافة والاقتصاد مثل مصر وسوريا يؤثر بطريقة فعالة في مستقبل المنطقة ويعكس تطورًا كبيرًا، كما سيساهم في تنمية وتفعيل دور الطبقة المتوسطة في شعبٍ استطاع أن يحدد اتجاهه ضمن بقية الدول، فمصر هي المحور والمحرك الأساسي لحركة السياسة بالمنطقة، وهي أكبر عشر مرات من كوبا وعدد سكانها أكبر بكثير، ولقد حدد جيفارا هذا الاختلاف لكي يوضح مقدرة الشعب المصري حتى وإن كانت أراضي مصر أقل خصوبة من أراضي كوبا على الرغم من اتساعها. كما أن اختلاف الثقافة بين البلدين يمكِّننا من تعلم أمور مشتركة بين شعبينا تخرج ما هو إيجابي من الثقافتين. وذكر جيفارا فيما بعد في مذكراته أن الرئيس جمال عبد الناصر كان رمزًا للشعبية والتضامن ليس فقط في إفريقيا بل في آسيا أيضًا.

كما أشار جيفارا إلى الفقر المدقع في الريف المصري؛ ورأى أن هناك كثيرًا من الأراضي التي يمكن زراعتها لتتمكن مصر من الاعتماد على نفسها للقضاء على الفقر، ولابد أيضًا من اتحاد الشعب كله تحت زعيم واحد، وبالفعل بدأت مصر أولى خطواتها في عملية الاتحاد وانطلقت فيها للأمام وكان على كوبا أن تحذو حذوها.

وهكذا أردت أن أنقل لكم كيف كان جيفارا يتعامل مع الثقافات المختلفة، وكيف تعلم أن يبحث ويستخرج الأمور الإيجابية من كل ما يدور حوله ويستفيد منها، وهذا ما يجب علينا أن نتعلمه اليوم في هذا اللقاء.

هناك كتب كثيرة كتبت عن جيفارا وهي كتب شيقة تمكِّننا من فهم مسيرته، ومن المميزات التي يمكن إبرازها في هذا اللقاء عن شخصية والدي هي مقدرته على التفهم والحب؛ فإن لم نتعلم كيف نحب بعضنا البعض فلن نتمكن من عمل أي إنجاز حقيقي ولن نتمكن من النضال والكفاح معًا من أجل قضايانا المشتركة. عندما كنت في السادسة عشرة من عمري تساءلت عن سبب حبي لوالدي؛ هل كان فقط حب ابنة لوالدها؟ أم كان أكثر من ذلك؟ اكتشفت أنني أعشق والدي؛ فقد حباني الله بأم رائعة كانت شريكة لجيفارا في حياته فنقلت لنا كل الحب الذي حمله لنا، فتعرفنا على جيفارا كأب ثم عرفناه أكثر بمرور الوقت عن طريق جمع كل المستندات التي تخصه في كوبا، وهنا أذكر أنه حق لكل إنسان في كوبا أن يعرف ويتعلم حيث إن التعليم ليس ميزة بالنسبة لنا بل إنه ضرورة للإنسان كي يكون أكثر فاعلية في مجتمعه، لذلك أشار خوسيه مارتين في القرن التاسع عشر إلى ضرورة تثقيف الإنسان حتى يتمكن من تحقيق أهدافه، وهذه حقيقة في اللحظة التي نعيش فيها الآن، وبالفعل بدأت لدينا حركات شعبية كثيرة تنادي بأحقية الشعب في استخدام موارده الطبيعية بإرادته، ولأول مرة في تاريخ قارتنا يكون لدينا رئيس من السكان الأصليين. كذلك يجب أن نكون أقوياء اقتصاديًّا كي نضاهي الدول الأخرى التي تسيطر على مقاليد السلطة في العالم، فإن ذهبت ثروتنا إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية لن نتمكن أبدًا من تغيير أنفسنا، ولذلك بدأت قارة أمريكا اللاتينية في التغيير، وأصبحنا للمرة الأولى في التاريخ مالكين لثروتنا ومواردنا الطبيعية. ومازال هناك الكثير الذي يجب عمله في هذا الطريق، وكما كان فكر جيفارا: يجب أن نقوم بدفع أمورنا للأمام وأن نقتنع بضرورة التغيير من أعماق أنفسنا.

تسببت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بعنفها اللامنهجي في الكثير من المشكلات، فماذا سنفعل؟ وكيف نسمح لهذا الموقف أن يمضي؟ وكيف نستجمع قوانا كي نواجه هذا الاعتداء؟

وكما قال أحد المفكرين؛ عندما يوجد مسيطر يجب أن نتحدث عن أناس يقعون تحت هذه السيطرة، فعلى من يقع هذا القمع؟ ومتى سينتهي؟ ومتى سيظهر من يحرر هذه الشعوب ؟ مع العلم أن الكلمة في النهاية ستكون لأولئك الذين سيهزمون الغزاة. إن النضال يجب أن يستمر دون كلل أو ملل حتى يتحقق النصر.

هناك العديد من الأسئلة قد وصلت إلى المنصة؛ وتعليقي العام عليها هو أنكم قد وجهتم إليَّ الدعوة لكي أتحدث عن جيفارا وبعضكم مهتم بمعرفة ابنة جيفارا، وأنا أشعر بالفخر كوني ابنة هذا القائد العظيم، ولكن الأهم هو قدرتنا على الاستفادة من بعضنا البعض وإفادة الآخرين. لقد درست الطب وكان ذلك بسبب تأثير والدي، لكنه أيضًا كان وسيلتي لمساعدة شعبي ولأنقل به حبي وإحساسي المرهف إليه. لقد تخرجت في كلية الطب لكي أصبح قريبة من ألم شعبي وأتمكن من مداواته لكي أعيد إليه فضله علي، فكل الكوبيين يعرفون أننا متميزون بداخل أمريكا اللاتينية ونعرف أننا أفارقة لاتينيون ذوو أصول مشتركة. لقد تعاملت مع ثلاث قبائل إفريقية عاشوا في كوبا وأثروا فيها، فنحن إذن ذوو جذور مشتركة. هناك رجلٌ يدعى مارتي عاش في كوبا في القرن التاسع عشر وهو أحد من دافعوا عن وحدة كوبا، وكان لهذا الرجل المثقف الكثير من الكتابات الشيقة للأطفال، فكانت فترة ذهبية للأطفال في كوبا.

نحن نهدي العالم ورودًا رمزًا للسلام الذي نسعى إليه، فنحن نؤمن أننا جميعًا متساوون دون النظر إلى أي نوع من الاختلافات، ودور كوبا في المجتمع الدولي هو التأكيد على هذه الحقائق فيجب أن نناضل دومًا من أجل المساواة العالمية. توجد روابط مشتركة كثيرة بين الأفارقة والإسبان؛ فهم ينظرون إلى الرجل بنظرة تختلف عن المرأة فيكنون للرجل احترامًا أكثر بكثير مما يُكنون للمرأة، ولهذا كان دوري عسيرًا حتى أثبت لمن حولي أن المرأة قادرة على الكفاح والنضال في الحياة مثل الرجل تمامًا؛ إن المرأة الكوبية لديها كل المقدرة على العمل في كافة المجالات ونحن ننادي دائمًا بالمساواة بين الرجل والمرأة في كوبا كما أن لدينا منظمة تنادي بهذه المساواة، وأنا أثق أننا سنصل لها يومًا ما.

تواجه كوبا الكثير من المشكلات الاقتصادية؛ وأنا كطبيبة جاءني رجل يبكي لأنه لا يستطيع الحصول على علاج لابنته الصغيرة ذات الثمانية عشر شهرًا وذلك بسبب الحظر الأمريكي، وذلك لأن الدواء المطلوب مصنَّع في الولايات المتحدة الأمريكية وليس في مقدرتنا جلبه، ولا يباع لنا هذا الدواء بسبب القانون الأمريكي الذي ينص على أن أي شركة ذات رأس مال أمريكي تبيع منتجاتها إلى كوبا تقوم بدفع غرامة مالية تتراوح ما بين خمسة إلى عشرة ملايين من الدولارات، كما أنها

ستفقد وضعها داخل السوق الأمريكي فتمنع من بيع منتجاتها فيه. ولكن على الرغم من هذا الحظر يوجد نوع من التضامن من كل أنحاء العالم مع كوبا، ونحن نعمل على حل هذه المشكلة عن طريق هذا التضامن. فعلى الرغم من الصعوبات الاقتصادية نحن لن نفقد السعادة في الحياة بل نسعى للعمل والتقدم حتى نخرج من هذا المأزق.

يوجد في كوبا اليوم نحو ٣٠,٠٠٠ طبيب يقومون بخدمات إنسانية في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية وكل أنحاء العالم مجانًا. إننا نغير العالم كله عن طريق كوادرنا البشرية مما يشعرنا بالسعادة والفخر رغم الأزمات الاقتصادية التي نعاني منها، كما أن وحدة الشعب الكوبي تمنحنا السعادة والأمان ونحن نسعى لتحقيق هذه الأهداف مع الشعوب القريبة أيضًا.

**متحدث لم يذكر اسمه:**

التشي جيفارا، هل له نفس المكانة اليوم مثلما كانت في الماضي؟

**ألايدا جيفارا:**

تواجَد جيفارا دائمًا بجانب الشعوب التي تحتاجه، وإذا كان بيننا اليوم بعد مرور ثمانين عامًا على مولده لاختلف الأمر مع اختلاف وضع العالم، إذ كانت لديه مقدرة عقلية كبيرة على تفهم الأوضاع، لذلك من الصعب أن أجيب على هذا السؤال.

**متحدث لم يذكر اسمه:**

إن لكوبا مواجهات عدة مع الإمبريالية، فإلى أي مدى تؤثر الرأسمالية بشكل سلبيّ في بلادكم؟

**ألايدا جيفارا:**

إن التجربة الكوبية رائعة؛ ففي القرن التاسع عشر أوضح بنيتو جوارد أنه من الممكن خسارة معركة ما، ولكن لابد من إعداد أنفسنا كشجعان من أجل مجابهة الاستعمار وتحقيق النصر، والذي لا نقبله هو أن نسمح بأن يواجه الجيل الجديد المعاناة نفسها، بل يجب أن يتعلم من الهزيمة لكي يكون أفضل وأكثر شجاعة في تحقيق النصر وغزو الحياة. وأعتقد أن ما قاله جوارد يجب أن يصل أيضًا إلى الشباب؛ فيجب أن يعرف الشباب أكثر عن تاريخهم وثقافتهم.

**هشام صادق:**

هناك جانب كبير من الأسئلة يتكلم عن رأي جيفارا في مدى عدالة القضية الفلسطينية، لذا سنبدأ أولاً بمجموعة الأسئلة التي تدور حول رأيك في الصراع العربي الإسرائيلي. يتساءل قنصل فلسطين – وهو حاضر معنا – عن هذا الجانب، فهل المقاومة السياسية تكفي؟ أم لابد من المقاومة المسلحة في الصراع العربي الإسرائيلي؟

**ألايدا جيفارا:**

لا يمكنني أن أعطي وصفة معينة لاتباعها، فكل شعب له وسيلته وطرقه الخاصة لتحقيق أهدافه والتي يجب أن نحترمها. كل ما يمكنني قوله هو أنه عندما قام جيفارا بزيارة منطقة غزة كان منزعجًا جدًّا من قضية الشعب الفلسطيني وطالب بالاحترام والتضامن مع الشعب الفلسطيني كما أدان حكومة إسرائيل.

وحينما قررت كوبا في فترات الثورة أن تساند القضية الفلسطينية قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل وذلك احترامًا وتضامنًا مع الشعب الفلسطيني، واليوم نحن نواصل تضامننا كمجتمع دولي ضد الحروب في فلسطين والعراق وأفغانستان. وأتساءل عما سيصل إليه وضع الولايات المتحدة الأمريكية عندما تقطع الدول المصدِّرة للبترول كل صادراتها لها كنوع من التضامن.

**هشام صادق:**

مجموعة الأسئلة الأخرى هي أسئلة سياسية تتعلق بموضوع قريب جدًّا؛ وهو كيف تستطيع الدول النامية التي تعاني من غطرسة السيطرة الأمريكية الخروج من هذه السيطرة وهذه التبعية للولايات المتحدة الأمريكية؟

**ألايدا جيفارا:**

أكرر أنه لا يمكنني وضع وصفة جاهزة تتبعها الشعوب فتحل بها مشاكلها، لكني فقط أوضح ما فعلناه في كوبا ولكل شعب حرية اختيار الوسيلة التي تناسبه لحل مشاكله.

وكنت في الإكوادور مع مجموعة من الطلاب وقمنا بتظاهرة سلمية ثقافية، وكان هؤلاء الشباب قد خرجوا قبلاً في تظاهرة ألقوا فيها بالحجارة على بعض المنشآت الأمريكية والتي اتهمتهم بأنهم إرهابيون تابعون لعصابات ترتكب الكثير من الجرائم. وأتساءل ماذا سيستفيد هؤلاء الشباب من كسر بعض الزجاج أو أي مظهر آخر من مظاهر الاحتجاج العنيفة هذه؟ إنني أرى أن الأصلح

هو ما قام به بعض طلاب الإكوادور حين قاطعوا المنتجات الأمريكية وهو ما يؤدي إلى حصار اقتصادي عليها، وهذا مثال لما يمكن القيام به.

**إسلام (طالب جامعي – لم يذكر المتحدث باقي الاسم):**

لماذا لم يتم إنشاء تكتلات سياسية واقتصادية مشابهة للاتحاد الأوروبي في أمريكا اللاتينية؟ وأتساءل أيضًا لماذا لم ينشأ هذا التكتل العربي؟

**ألايدا جيفارا:**

نحن ثقافات مختلفة لدينا تاريخ مختلف، لذلك فإن الوسائل التي يجب اتخاذها لابد أن تكون متنوعة وإن كنا نتحد في هدفنا وهو الاستقلال والسيادة التامة على أراضينا، فلابد أن نناضل من أجل ذلك، ولكن كل شعب عليه تفعيل طريقته وأسلوبه الخاص. هناك أمور متشابهة كثيرة بين شعبينا فكلا الشعبين خضعا للاحتلال واستغلا من قبل المستعمر وسرقت مواردهما الطبيعية.

ولكن هناك مشكلة لديكم وهي الدعاية السلبية للعالم الإسلامي بصفة عامة وهي مشكلة لابد أن تسعوا لإيجاد حل واضح لها، فأولاً يجب أن نتحدث عن الاحترام؛ فمثلاً في فرنسا هناك من يعترض على الحجاب ولا يعرف ما يمثله للمرأة المسلمة، وأنا ليست لدي الإجابة لأنني لا أحيا في هذه الثقافة، ولكن على المرأة العربية أن تحاور وتعبر عن ذاتها وتظهر حقيقة من تكون وصحة معتقداتها. إن هذا العالم تحكمه سياسة منافقة جدًّا تشوه صورة مجتمعكم في الخارج، فمثلاً في القرن الثامن لم تتواجد في أوروبا أية مستشفيات ولكن كان الطب في قمة ازدهاره في العالم العربي، هذه الأمور وغيرها هي التي يجب إبرازها للخارج. كذلك يجب استغلال منجزات العولمة لننشر ثقافتنا إلى الجميع كي يتمكن الآخر من التعرف علينا جيدًا.

لقد علمتني امرأة أصيلة من فنزويلا أمرًا مهمًّا في مهنتي؛ فكنت أسألها عن اسمها وعنوانها قبل أن أفحصها حينما سألتني عن سبب سؤالي هذا وعلاقة اسمها وعنوانها بما تشعر به من ألم، وذكرتني بأنني يجب أن أسألها عما تعاني منه أولاً. لقد تعلمت درسًا مفيدًا من هذه المرأة البسيطة بما لديها من ثقافة، وهذا ما يجب علينا فعله؛ يجب أن نثري الثقافات الأخرى بثقافتنا.

**متحدث لم يذكر اسمه:**

هل لديك بعض الأمل في تغيير الوضع في الولايات المتحدة الأمريكية مع الـرئيس الجديـد باراك أوباما؟

**ألايدا جيفارا:**

لقد مر على الولايات المتحدة عدد كبير من الرؤساء ظلت السياسة في عهدهم كما هي دون تغيير. لقد واجهنا الكثير من المشاكل في كوبا حينما قررنا تصنيع منتجاتنـا القوميـة؛ فلـم يكـن باستطاعتنا هذا إلا بإذن السفير الأمريكي في كوبا، لكن واصلنا السـعي حـتى حققنـا هـدفنا في الثمانينيات، وبالفعل استطعنا تخفيض أعداد المرضى ومعدل وفيات الأطفال.

لم تعد الأرض الكوبية مشاعًا للتجارة بين الدول إنما عادت ملكًا للشعب الكـوبي، فـنحن اليوم سادة أرضنا بعدما هزمنا العدو وبدلنا من الحالة الاجتماعية السائدة. لم يقـم فيـدل كاسـترو وراؤول كاسترو وحدهما بالتغيرات، ولكن وقع الجزء الأكبر من التغيير على عاتق الشعب الكـوبي وليس على زعمائه فقط.

**مجدي شاكر:**

هل يمكن الاستفادة من الأزمة العالمية الاقتصادية؟ وهل بها جانب مضيء بالنسبة لدول العالم الثالث؟ بعد أن ثبت أن النظام الرأسمالي ليس على حق دائمًا مثلما أعلن "ساركوزي"، وهل هنـاك أمل للدول النامية بأن تستفيد من النظام الاشتراكي؟

**ألايدا جيفارا:**

كان جيفارا قائدًا يرمز للقادة والزعماء في كل دول العالم سواء في إنجلتـرا أو إفريقيـا أو غيرهما، وأعتقد أننا يجب أن نستفيد من هذا الرمز ونتمثل به.

أشير أيضًا لما نشرته الـBBC عن أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعتبر قوة اقتصـادية في العالم بعكس الهند والاتحاد الأوروبي التي لها ثقل اقتصادي.

**مازن صلاح الدين (طالب):**

تعتبر مصر الآن دولة حليفة للولايات المتحدة الأمريكية وتتبع النظام الرأسمالي؛ فهل كان لديك أي تردد من جانبك لزيارة مصر؟

**ألايدا جيفارا:**

لقد تمت دعوتي من قبل مؤسسة التضامن التي تدعم الوحدة والتضامن بين شعوب آسيا وإفريقيا وبين شعب كوبا، لهذا لم يتملكني خوف أو تردد لتلبية الدعوة، فقد أتيت لزيارة أصدقاء شعبي وأصدقاء شعوب العالم الثالث، و لم تكن لدي أي مشكلة في الحضور.

**محمد عادل (دكتور):**

كيف توفي المناضل الكبير جيفارا؟

**ألايدا جيفارا:**

يجب علينا في البداية معرفة معنى كلمة مناضل؛ فالمناضل لا ينتمي لجيش عادي ولكنه شخص قرر أن يقوم بهجمات مسلحة بصورة مستقلة معتمدًا فقط على علاقته بالقوى اليسارية التي ينتمي إليها في البلاد.

لقد ذهب والدي في البداية إلى الكونغو وظل يحارب فيها لمدة ثمانية أشهر بناءً على طلب من الاتحاد الإفريقي، ولكن بعد فترة طلب منه الاتحاد الإفريقي نفسه الخروج من الكونغو. ونشأ الحزب الشيوعي الكوبي عام ١٩٦٥ في الوقت الذي كان والدي فيه في الكونغو، وكان على فيدل كاسترو مهمة شرح أسباب عدم تواجد والدي والذي كان أحد أعمدة الثورة الكوبية، وتم إصدار قرار تنحية تشي جيفارا، ولهذا لم يرد أبي العودة لكوبا بعد أن تمت تنحيته رسميًا ولكن كتب له فيدل ورفاقه خطابًا لإقناعه بأن كوبا هي أفضل مكان للإعداد لمعركة جديدة، وهكذا عاد أبي لكوبا بصورة سرية؛ فلم يعلم بعودته سوى فيدل كاسترو وبعض الرفقاء من مجلس الدولة ووالدتي بالطبع.

ثم قام أبي مع مجموعة من زملائه بالتجهيز للسفر بعد ذلك إلى بوليفيا؛ حيث حاول عمال المناجم المسلحون هناك إحداث انقلاب في الدولة دون سائر أمريكا اللاتينية، فاتصل الحزب الشيوعي البوليفي بوالدي وطلب منه الحضور إلى بوليفيا، وبالفعل سافر والدي مع مجموعة من الكوبيين إلى بوليفيا، لكن الوضع في بوليفيا كان صعبًا للغاية؛ فالشعب لم يكن مثقفًا بالمرة وكان هناك رعب من

الامتثال لجيش مناهض لسياسة الولايات المتحدة فلم تسر الحملة كما كان مخططًا لها. وجاءت اللحظة التي قرر فيها والدي الانسحاب لأنه لم يحقق ما كان يتوقعه و لم يجد الدعم الكافي.

وحدثت المعركة النهائية مع الجيش البوليفي في هذا الوقت، وقرر والدي بعدها الانسحاب وترك مجموعة من الأشخاص الجرحى في مكان آمن، ثم اتجه مع بقية جيشه إلى حدود الأرجنتين حتى يتمكن من الخروج على أمل أن يعود سريعًا لإخراج هذه المجموعة التي تركها. ولكن حدثت الخيانة وتم قتل كل المجموعة ومعهم "تانيا" المرأة الوحيدة التي شاركت في هذه الحرب. و لم يصدق والدي الخبر وأصرَّ على العودة للبحث عن رفاقه، وفي خلال عودته تمت خيانته مرة أخرى ووقع تحت الحصار هو ورفاقه، فطلب أبي من بعض الجرحى الفرار وظل هو ومجموعة صغيرة محاصرين لفترة طويلة تاركًا فرصة للفارين للوصول إلى بر الأمان.

جرح أبي جرحًا بالغًا وتم أسره وهو على قيد الحياة، واصطحبوه إلى مدرسة في قرية صغيرة تم فيها إصدار قرار بقتله دون إجراء أية محاكمة. وبعد قتله ارتكب الجيش البوليفي خطأً فاحشًا؛ حيث عرضوا جثته على الشعب لمدة ثلاثة أيام، ولكن بعد أن أدركوا فداحة هذا الخطأ أخرجوا جثته ليلاً وأخفوها، وظل مكان دفنه أكبر أسرار الجيش البوليفي لمدة ثلاثين عامًا و لم يتكلم به أحد منذ ذلك الوقت.

**أحمد مصطفى:**

لماذا لم تستفد مصر، وكذلك كوبا، من أفكار جيفارا في الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي؟ وبذلك كانت قد تحولت إلى دولة قوية. أيضًا أتساءل لماذا كان تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في كوريا الجنوبية والبرازيل شديد النجاح؟

**محسن صالح (فرقة الفنون الشعبية بالإسكندرية):**

لقد قمت بزيارة كوبا ولاحظت التقدم الهائل هناك في المجال الصحي وفي مجال التعليم؛ وأريد أن أعرف كيف وصلتم إلى هذا التقدم والنجاح؟

**ألايدا جيفارا:**

إن الدعاية التي تقوم بها أمريكا اللاتينية ضد كوبا والتي تؤكد عدم وجود ديمقراطية بل حكم ديكتاتوري جعلت هذه الفكرة هي السائدة في جميع أنحاء العالم عن الأوضاع في كوبا. وقد سئلت

عن ذلك في أثناء زيارتي لإحدى المدارس في فرنسا، وأجبت إجابتي المعتادة، ولكن فاجأني أحد الطلاب من أصل شيلي مشيرًا إلى أنني لم أجِب عن السؤال إجابة جيدة، فسألته عما يجب قوله، فقال إنه لم يرَ في حياته ديكتاتورًا يهتم بتعليم شعبه، وبصحة شعبه، وبحصول شعبه على ثقافة حقيقية، لم يرَ هذا أبدًا، وأكَّدت قوله بأنني أيضًا لم أعرف ديكتاتورًا يقوم بهذا.

إن أشكال الحكومات مختلفة ونحن شعب اختار شكلاً واضحًا لحكومته وهو Demos وهي كلمة يونانية تعني "إرادة الشعب"، وإذا كان هناك شعب لديه إرادة قوية لكي يحدد ما هي سياسته الخارجية ويمارس هذه السياسة دون خوفٍ فهذا هو الشعب الكوبي، إنني أقول ما أشعر به كوني مواطنة كوبية.

لقد مرّ شعبي بالدكتاتورية بالفعل حينما كنّا تحت حكم سفير الولايات المتحدة؛ فما كان يقوله هذا الرجل كان ينفَّذ في بلادي، ولقد تم قتل حوالي عشرين ألف كوبي في هذا الوقت، ولكن الآن انتهى هذا العهد، وتوجد صحة عامة مضمونة وحقوق اجتماعية مضمونة، كما يوجد تعليم وثقافة عالية المستوى تسمح للشعب بمناقشة كل القوانين التي يتم الموافقة عليها من قِبَل الحكومة الكوبية. وبهذا من المستحيل أن يكون حكمنا ديكتاتوريًّا، بل إنني أنقل لكم سعادتي بالعيش في كوبا لأنني أقول ما أريد وأفعل ما أريد وأشعر أنني امرأة حرة، هذا هو أسلوب حياتي.

**هدى سالم حقي (عضو أصدقاء مكتبة الإسكندرية):**

أهلاً وسهلاً بالدكتورة ألايدا جيفارا ضيفة مكتبة الإسكندرية. اسمحوا لي أن ألقي شعرًا قصيرًا على حضراتكم:

جيفارا يا ملهم الشباب ويا شعلة الحرية وأمل الشعوب في أن غدًا يومٌ
نتنسم فيه عبير الاستقلال والحرية
جيفارا يا قلبًا مازال ينبض بالحب والاحترام
جيفارا يا قصة النضال يرويها الآباء للأبناء
جيفارا يا دماء الحرية التي مازالت تجري في عروق كل من يبحث
عن خيط من الحرية لوطنه من محتل آثم
جيفارا يا درسًا تعلمناه في طفولتنا وشبابنا
يكون فخرًا وعزة وكرامة لكل إنسان

يبحث عن الأمل في يومٍ مشرق ومستقبل مليء بالحرية والاستقلال
رسالة من مصرية إلى جيفارا: يموت الإنسان وتبقى الذكرى
ولكن الزعماء والمناضلين الشرفاء لا يموتون
ويبقون دائمًا شامخين عظماء شمعة في ظلام الاحتلال والظلم
وخنجر في كل قلب معتد في عهد لابد في يوم ما أن ينتهي
مواطنة مصرية عشقت جيفارا

**إسلام السيد رمضان (عضو بمكتبة الإسكندرية وبمكتبة طه حسين وأمين مدارس النور للمكفوفين بالإسكندرية):**

هنا في مصر يُعتقَد أن زيادة عدد السكان مشكلة، ولكن المشكلة ليست في الأعداد فهذه قوة بشرية لابد من استخدامها الاستخدام الأمثل. كذلك يجب على كل شعب بناء القدرة العلمية الخاصة به التي تمكِّنه من مواجهة التحديات. وأذكر هنا أن من لم يملك قوت يومه لا يملك كرامته، وأخيرًا أشير إلى ما قاله الرئيس الراحل جمال عبد الناصر: "ما أُخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة".

**ألايدا جيفارا:**

أرغب في التعليق على بعض ما ذكره هذا الشاب؛ هناك مظهر أثارني بشدة حينما ذهبت للمرة الأولى إلى البرازيل، فقد رأيت مقدارًا كبيرًا من اليأس لدى الناس، وشعرت أنه من الأفضل لي أن أموت في محاولة تغيير هذا الواقع عن أن أموت جوعًا، ولكنني شعرت أن إحساسي هذا نابع من تربيتي الشيوعية والمستوى الثقافي المختلف الذي وصلت إليه.

حينما كنت في البرازيل عرفت سيدة تدعى "روزا"، كانت عضوًا في حركة من حركات المعارضة في البرازيل، وكانت ذات مستوى تعليمي متوسط غير متخصصة في مجالٍ بعينه و لم تكن اشتراكية أو شيوعية أو تنتمي لوجهة معينة بل كانت شخصية متواضعة من الريف، ولكنها لم تكتفِ بالهتاف من أجل الحصول على حقوقها، بل ماتت دفاعًا عن قطعة أرض من أجل الحصول على طعامٍ لأولادها.

في عام ١٩٥٨ وصلت نسبة وفيات الأطفال في كوبا إلى حوالي ٦%، ووصلت نسبة الأمية إلى ٣٠%، كذلك كان هناك عشرون ألف فدان من أفضل الأراضي الكوبية ملكًا لحكومة الولايات المتحدة، وكان البنك الوطني الكوبي ملكًا للولايات المتحدة، كذلك كل منتجات الألبان في كوبا

كانت تحت سيطرة الولايات المتحدة. ولكن الشعب الكوبي يدرك جيدًا أهمية المقاومة ولا يقبل أن يحيا مستسلمًا لتحكُّم الواقع، لذلك قررنا مواجهة الواقع وتغييره، ولقد كلفنا هذا التغيير كثيرًا؛ فقد واجهنا الولايات المتحدة التي لم تكتفِ بالتحكم في الزراعة والغذاء، ولكن في عام ١٩٨٠ قررت أن تصيب الشعب الكوبي بالأمراض البيولوجية، وبالفعل مرض حوالي ٢٠٠ ألف كوبي ومات حوالي ٢٥٠ مريضًا منهم ١٠١ طفل، ورغم هذا استمر الشعب الكوبي في المقاومة.

واليوم، انخفضت نسبة وفيات الأطفال إلى ٥,٢ لكل ألف طفل يولد، واختفت الأمية من كوبا، كما يوجد أكثر من ثلاثين ألف متخصص في الصحة يعرضون خدماتهم ليس في كوبا فقط بل في أماكن أخرى من العالم أيضًا، كذلك فالأراضي الكوبية الآن هي ملك للشعب الكوبي. لقد حققنا ذلك عن طريق اتحاد الشعب وليس فقط بسبب وجود شخص مثل فيدل كاسترو أو راؤول كاسترو، هناك اقتناع يغلب على الشعب الكوبي وهو أن مجتمعنا الاشتراكي الذي قمنا باختياره هو الوسيلة الوحيدة التي سوف تسمح لنا بالتقدم.

لا يمكننا أن نفرض الطريقة التي اتبعناها على أي شعب آخر، لكن يمكننا فقط أن نثبت للعالم أجمع أن باستطاعتنا أن نختار الحياة بطريقة مختلفة. كلنا بشر لنا نفس الاحتياجات، لهذا فوفقًا لإمكانياتكم وطريقة حياتكم يجب عليكم أنتم أيضًا أن تصلوا إلى نتيجة ترضيكم كشعب وليس كأفراد.

**شبل بدران (عميد كلية التربية):**

أنا مندهش من عدد الحضور الشباب لهذه الندوة؛ فالمكتبة في أي ندوة علمية أو ثقافية لا تتجاوز نصف هذا العدد ويكون غالبيته من كبار السن، ولكني أرى الكثير من الشباب الذي لم يعرف جيفارا ولا ثورة أمريكا اللاتينية، ولكن عاشت أفكاره وروحه تلهم الشباب حتى اليوم. فمن تجاوز عمره النصف قرن مثلي يذكر حين كنا نضع صورة جيفارا وكتبه في حجراتنا وفي قاعات الدرس، أما هؤلاء الشباب فلم يروا كل هذا، ولكن جيفارا مازال حيًّا فينا كلنا كبارًا كنا أم شبابًا.

مع تهاوي العديد من النظم الاشتراكية لأسباب مختلفة، ومع نظام جورباتشوف في عام ١٩٨٩، ومع محاولة الصين التكيف مع آليات السوق وسياسة العرض والطلب والاقتصاد الحر، كيف استطاعت كوبا أن تصمد وسط هذه العواصف العاتية التي مرَّت عليها خلال الربع قرن الأخير من حصار وقمع وتجسس وإرهاب من أغنى دولة في العالم؟

**هشام صادق:**

إن لكوبا علاقة بأمريكا الشمالية، وهناك الآن كوارث مناخية، هذا بجانب الأزمة المالية التي تعصف بالعالم كله، لذلك أريد أن أسأل عن وضع الكوبيين الآن، كما أنني متشوق جدًّا للحديث عن المستقبل.

**ألايدا جيفارا:**

نحن ضد توظيف صورة جيفارا لأي غرضٍ كان، فأنا لا أحبذ وضع صورته على الزجاجات والعبوات كدعاية، ولقد بدأت البحث عن نوع من التحكم والسيطرة على هذه الظاهرة التي تتنامى؛ إننا لا نسعى للكسب المادي والدعاية، ولكننا نسعى إلى تقديم الاحترام والتقدير لهذا الشخص، ولذلك فإن مركز جيفارا للدراسات في هافانا عاصمة كوبا بدأ يلعب هذا الدور.

إن الوضع في كوبا في هذه اللحظات صعب؛ فقد مرت ثلاثة عقود ونحن نعاني هناك من تيارات تعصف بكل أنماط الحياة. وتعاني كوبا الآن من مشكلتي المناخ والاقتصاد، ولكني أؤمن أن تضامن الشعب الكوبي سيقف تجاه أي مشكلة، وأنادي بضرورة استعادة روح التضامن داخل شعوبنا التي تعاني، ومن حسن الحظ أن هناك نوعًا من التضامن الآن في كثير من دول العالم.

علينا الآن أن نعمل بجدية من أجل تحقيق أفضل حياة لشعوبنا، فمثلاً علينا أن نعمل في أمريكا الجنوبية بجد حتى نكون مجتمعًا غنيًّا بالبترول، كما أن أرضًا خصبة كالأرجنتين تنتج ثلث ما تحتاجه البشرية من بعض المنتجات تعتبر قوة كبيرة لنا، كذلك التنمية والتقدم الصناعي الملحوظ في بعض الدول كالبرازيل والأرجنتين، ومحاولات التنمية الناجحة في كوبا أيضًا، كل هذا يعد نوعًا من الاتحاد لتحقيق الهدف.

وأحب أن أعطيكم مثالاً على محاولات التنمية والتعاون بين الدول؛ إن فنزويلا تنتج البترول، ولكن البترول وحده لا يكفي، لذلك تبحث فنزويلا عن استثمارات جديدة كتنمية مزارعها لتدعيم الثروة الحيوانية والتي تحتاج إلى خدمات من مجالات مختلفة تسعى كوبا للمساعدة فيها.

أنا لا أعرف ماذا سيحدث خلال العشرين عامًا القادمة، ولكن ما أعرفه هو أننا يجب أن نستفيد كل الاستفادة من كل ما تقوم به أمريكا الجنوبية وما تحققه من نجاحات، فهذه النجاحات

تخدم المستقبل. وأخيرًا، أعتقد أن هناك الكثير من الأمور التي يجب أن نخطط لها لتحسين مستوى شعوبنا، كما يجب أن نضع احتمالات وإمكانات اقتصادية أكثر، وأن نهتم بالتعليم أكثر.

**آنخيل ديلماو فرنانديز (سفير كوبا في القاهرة):**

لقد طُلِب مني أن ألقي الكلمة الأخيرة في هذا اللقاء. في البداية، ونيابة عن الدكتورة ألايدا جيفارا وعن السفارة الكوبية وعن زوجتي، أريد أن أشكر كل الحضور على منحنا وقتكم الثمين هذا في يوم السبت وهو من أيام العطلة في مصر، فشكراً جزيلاً على وقتكم.

أشكر أيضًا كل الأصدقاء الذين قاموا بالترتيب لهذا اللقاء بالإضافة إلى جمعية أصدقاء كوبا بالإسكندرية وإدارة المكتبة التي كانت كريمة جدًّا معنا، كما أشكر كل أبناء الإسكندرية الذين ساعدوا على إقامة معرض الصور.

لدي فقط ثلاث كلمات أقولها، قالها قبلي ملايين الناس في العالم؛ فمن بين كل الأسئلة التي تلقيناها باللغتين الإنجليزية والعربية أقرأ عليكم ما كتبه المايسترو وحيد علي حسن: "يعيش تشي جيفارا"، ولكم منا جزيل الشكر، مع شكر خاص للمترجم الدكتور محمد عبد السلام الذي ساعدنا على التواصل.